مسرحية

لينة

آية مصدق

المشهد الأول

في السجن

الرواي:

(صوت خارجي)

في سجن النساء، حيث تتصارع شياطين الظلام مع فرسان النور الذين يتسللون خلسة من نافذة صغيرة في الأعلى ويعرضون رقصة الظلال على الجدران الباردة.

في صدر الزنزانة سريران مزدوجين يحملان أجساد أربع نساء، فرقهم العمر وجمعتهم الأقدار البائسة، وطاولة مستديرة الشكل في الوسط تحمل رسائل لم ترسل.

كانت لينة تجلس على طرف السرير الحديدي تضم إلى صدرها ذلك الجسم الصغير الملتف في قطعة قماش بالية تدندن في أذنها أغنية للأطفال:

"يلا تنام يلا تنام،

وادبحلاك طير الحمام،

روح يا حمام لا تصدق،

بضحك على يوسف تاينام."

فجأة قمع سيل ألحانها صوت خشن من امرأة تشاركها الزنزانة.

المرأة الأولى (منزعجة): ألم تملي من هذا كل ليلة؟، اخلدي إلى النوم أيتها المعتوهة.

تستيقظ المرأة الثانية من نومها بانزعاج أكثر.

المرأة الثانية

(تصرخ في وجه المرأة الأولى التي تصغرها سنا):

ما بالك أنت؟ ألا يحق لها أن تغني؟.

المرأة الأولى: لا أستطيع النوم بسبب غنائها.

المرأة الثانية: هذه مشكلتك، وكأنك تنامين فعلا.

تصمت المرأة الأولى وترتبك ثم تنهض بغضب وتتقدم نحو تلك التي لم تنقطع عن الغناء وتفتك جسده من بين يديها وترميه أرضا بقسوة ليتدحرج رأسه في أرضية السجن ويصل حتى باب الزنزانة وهي تنظر إليه باستسلام ثم تذهب

المرأة الأولى وتلتقط الرأس من على الأرض وتعود إليها ثم ترفع الرأس وتصرخ بنفاذ صبر

المرأة الأولى: عليك أن تتقبلي الأمر، لقد ماتوا جميعاً كل أطفالك قتلوا أمام عينيك **(تواصل وهي تشير إلى الرأس)** هل تظنين أن هذه الدمية السخيفة ستعوضك عن ألم فقدهم؟

تقاطعها **المرأة الثانية (وهي تحاول إبعادها)**:

يكفي إلى هذا الحد، أنت تؤلمينها.

المرأة الأولى: إذا حان الوقت لتواجها آلامها وتحاسب من تسبب فيها.

المرأة الثانية: لا تنسي أنك مررت بما مرت به.

موسيقى حزينة تنبعث في المكان، تدور المرأة الأولى وهي تخاطب الجمهور.

المرأة الأولى: لم أنس أبدا كيف ينسى المرء شيئاً كهذا. أحتاج حياة أخرى لأنسى، لكن أتعلمون شيئاً عندما أنام أنسى كل شيء **(تضحك)**. نعم، أنسى أن أطفالي سفكوا دماء بعضهم البعض واتهمت أنا بقتلهم. حينها قلت لهم: "كيف للأم

أن تقتل أطفالها؟ كيف تقتل روحها؟" ليس لدي ممن انتقم لو كان لدي شخص واحد لما ترددت للحظة.

تنهي المرأة الأولى كلامها وتعيد رأس الدمية إلى جسدها ثم تجلس على الأرض وتضمها إلى صدرها وتغني:

"يا لله ينام ابني يا الله يجيه النوم

يا الله يحب الصلاة يا الله يحب الصوم.

ثم تتقدم المرأة الثانية وتواجه الجمهور وهي ترمقهم بنظرات جوفاء:

وماذا عن جرحي أنا؟ كنت شابة سعيدة أعمل في أرضي وأجني خيراتها. أركض بين الحقول وأطارد الطيور حتى جاء ذلك اليوم الذي دخلوا فيه أرضي وأعثوا فيها الفساد، وأخبروني أن ما فعلوه قصاص لأرضهم التي خربتها. لكني لست من فعل ذلك، فسجنت وسلبت مني أرضي كل ما أملك. آه لو تعلمون كم الأرض عزيزة لدى صاحبها.

تجلس المرأة الثانية أرضًا مغمضة العينين مشبكة اليدين وكأنها تمسك برضيع، ثم تغني:

"دلول يالولد يا بني دلول

يمه عدوك عليل وساكن

الجول يمه هب الهوى واصطكت

الباب ترى حسبالي يا يمه خشت أحباب."

(تتغير الموسيقى) وتنهض عجوزاً من سريرها وهي المرأة الرابعة، تمر بجانب المرأة الثانية والثالثة، وهي تنظر إليهم بشفقة، ثم تلتفت إلى الجمهور.

المرأة الرابعة: كان لي ولدان درستهم إلى أن أصبحوا طلاباً في الجامعة وذات يوم.

(مشهد فلاش باك)

يظلم المسرح وتفرد المرأة يديها، وتنتظر حتى يظهر شبان بملابس تخرج، يحمل كل منهما شهادته. اقتربت المرأة لعناقهما، لكنهما أوقعاها أرضًا وواصل السير إلى أن اختفى من المسرح، ويظلم المكان، ثم تعود الإضاءة وتظهر المرأة جالسة على الأرض، وهي تمتم بصوت خافت، وكأنها تقرأ نصاً من كتاب ما.

تتقدم لينة وتشتت ناظريها في النسوة الثلاثة، وتسيل دمعة من خدها، ثم تلتفت إلى الجمهور (**موسيقى**).

لينة: هن لا يستطعن الانتقام، فهل ينتقم الإنسان من روحه؟ لقد طعنوا في أكثر الأماكن أماناً، وهل ينفع أن تقول لغريق تغمره المياه تنفس؟ لكن أنا أستطيع ذلك، نعم ربما الأمر صعب ولكن ليس مستحيلاً، أليس كذلك؟ قتلوا أطفالي واغتصبوني والآن يأسرونني. تالله ما رأيت ظلماً كهذا، فهل رأيتم أنتم؟

ثم تصمت فجأة وتبدأ بصم أذنيها بكفيها وأصوات أطفال وصراخ يصدح في السجن إلى أن تسقط أرضًا وتبدأ هي أيضًا بالصراخ تحاول نفض تلك الأصوات من رأسها إلى أن تخور قواها وتنزل يديها إشارة على الاستسلام ويعم الصمت المكان ثم تنهض المرأة الأولى والثانية والمرأة الثالثة تباعًا وساعدوا لينا على النهوض ثم تفتح الزنزانة ويظهر من خلفها شرطية بلباس أخضر وتقول برتابة: حان وقت محكمتك يا لينة.

المشهد الثاني

في المحكمة

الرواي:

(صوت خارجي)

إضاءة خافتة وموسيقى هادئة. يجلس القاضي على كرسي سلطته أمامه طاولة مستطيلة الشكل، فوقها مطرقته، وعلى يمينه بمسافة يقف المحامي. وأمامه يجلس عدد من الرجال، منكسين برؤوسهم. **(تتغير الموسيقى)**

تدخل فتاة تجر أغلالها على أرضية القاعة، محدثة صريراً يشق رداء الصمت. ترتدي ثوباً بالياً تآكلت أطرافه، وتلمع عيونها. تحمل هالات سوداء من خلف شعرها الليلكي الذي يغطي جزءاً من وجهها. تتفرس في وجوه الحاضرين بابتسامة مجروحة تحرق وجهها بتلذذ. ثم تقف وتنظر في وجه القاضي العابس **(موسيقى حزينة)**.

لينة: حتماً إنكم تعلمون من أكون. أنا من قُتل أطفالي واغتصبت أمامكم وأنتم تنظرون. أنا التي جررت أشلاء

أطفالي وأعانق قدما أو ساقاً ثم... **(تخفض صوتها)** وتقول: يحدث أحياناً أن أحتفظ بأحدهم. فاتركوا الأمر سراً.

القاضي (بتعجب): ماذا تهذين؟

لينة (تصرخ): لا أهذي. لست بمجنونة. أنتم المجانين. أنتم شياطين الإنس. أنتم الذين تشربون كأس خطيئتكم من دمائي وتقهقهون. تعزفون سمفونيات الألم على جراح الأبرياء. فويلاً لما تفعلون.

القاضي (غاضب): يجب أن ترسلي لمصحة عقلية.

لينة (تقهقه): مصحة عقلية؟ أهكذا تحكمون على القضية؟ أتظن أن المرضى هناك يقيمون. بل أنتم المرضى النفسيون. وبيننا تعيشون.

(تتقدم إلى القاضي).

لينة: وأنت أيها القاضي، الذي تثرثر بخطب العدل والحق والإنسانية. أطفالي قتلوا، وأنا السجينة والقتلة في الخارج يلعبون ويمرحون. فأي عدل هذا تزعمون؟

القاضي: قولي ما شئت. فقلبي قد صقل قسوة، وأنا الملك هنا. أرفع شعارات الإنسانية وارتدي العدل قناعاً. وللخير جولة، وللشر جولتين.

لينة (**مبتسمة**): الخير زاهق الشر، ولو امتد من البحر إلى البحر، وسيغرقكم بسيل آثامكم ودماء قتلاكم.

المحامي (**منفعل**): ماذا تخالين نفسك قائلة؟

(**يلتفت إلى القاضي**) سيدي القاضي، أنا أندد بما قالته وأطلب الإعدام.

لينة (**تنظر إليه باستحقار**): أنت يا صاحب الزي الأحمر إنك مجرد محامي شيطان يدافع عن المجرمين ويمدهم بأسلحة

الحجج والبراهين. يدافع عن مجرم في حضرة بريء. فبئس ما قلت وبئس ما كسبت، وبأساً لكم جميعاً على ما تقولون.

المحامي (**بابتسامة ساخرة**): للأقوى حق الدفاع، ولضعيف واجب الانصياع. تلك هي يا سنة الحياة. وهل تظنين أننا نحن فقط المخطئون؟ انظري خلفك. فهم أيضاً مجرمون. هل تظنين أننا نحن فقط المخطئون؟ انظري خلفك. فهم أيضاً مجرمون (**موسيقى حزينة**). تلتفت ببطء وتتقدم نحوهم.

لينة: _يا حسرة عليكم يا إخوتي، يا حسرة! تغتصب وأنتم خلف لباب تقفون. قالوا أطفالي وما زلتم تنظرون. أسفي عليكم وعلى رجولتكم التي بها تتباهون.

القاضي (**يضرب بمطرقته الطاولة ويصرخ**): سنستمع إلى شهادة الإخوة

يقف **الأول الملتحي** ويقول: بكل بساطة، ما حصل معها لا يهمني

(ثم يجلس ويقف الثاني.)

الثاني: كان لي مع مغتصبيها تجارة، فلم أستطع خسارة تجارتي وإنقاذها.

الثالث: وأنا أيضاً كان لي لديهم مال. فلم تكن من مصلحتي أن أتخذهم أعدائي.

الرابع: لو كان بإمكاني مساعدتها لسعادتها، فأنا فقير وليس لي تجارة ولا أموال، لكني كما ترون ضريراً.

(ينهون شهادتهم)

لينة(بسخرية):

_ما كان عليكم القدوم. فلا أحتاج إلى شهادتكم. لا سمح الله قد تخرجني من سجني ولا حاجة إلى ندمكم. فلا سمح الله قد يعيد لي أطفالي. فابقوا في صمتكم هذا نائمين، وسأدعو لضمائركم بالمغفرة.

يصرخ **القاضي** **(غاضبًا)**:

هدوء! سنستمع إلى الضحية.

(في هذه الأثناء يدخل المحكمة رجل يبتسم وهو يسير بثقة يرمق لينا بنظرة سخرية، ثم يقف أمام القاضي الذي يبادله الابتسام)

الرجل (يقول باستهزاء): أيها القاضي، أريد منك عدلاً وإنصافاً. هذه المرأة سكنت أرضي وسرقت مالي. اتهمتني زوراً بالاغتصاب والقتل.

لينة (تصرخ): كيف تجعلوننا الأنذال ضحايا؟ عجباً لكم، واللعنة على تصرفاتكم. آذانكم عن أنين الضعفاء، وتجعلون المجرمين أبرياء. اللعنة عليكم جميعاً يا أيها الأنعام.

(يرتفع الهرج والمرج)

القاضي (يصرخ): هدوء! قرار المحكمة.

يقف الجميع ويواصل **القاضي** قائلاً: حكمت المحكمة بعد الاستماع لما قالته المتهمة والمحامي والشهود بالإعدام.

المتهمة لينا بتهمة الدفاع عن النفس والاعتداء اللفظي على رجال القانون في حرم المحكمة رفعت الجلسة ويضرب بمطرقته الطاولة أمامه.

المشهد الثالث

الاعدام

الرواي:

(صوت خارجي):

على منصة الإعدام تقف لينا معصوبة العينين، مكتوفة اليدين، يلتف حول عنقها حبل يستعد لعصر رقبتها في أي لحظة، ورصاصة جندي من خلفها تستعد هي الأخرى لإكمال العمل لو بقيا ناقصًا.

يقف على مقربة منها القاضي بوجه خالٍ من التعابير، وبجانبه القاتل المغتصب، تعلو وجهه ابتسامة نصر، وعلى الجهة المقابلة يقف المحامي.

المحامي (تعلو وجهه ابتسامة شماتة): والآن أين الخير الذي سيزهق الشر؟ ألازلت تؤمنين بوجوده؟ سيعانقك الموت الآن. ألم أقل لك أن تلك سنة الحياة.

تنظر إليه لينة بصمت ثم تحول بصرها إلى الإخوة الذين لا يزالون منكسين رؤوسهم. بذل تمر الثواني ببطء،

القاضي(يصرخ): سنبدأ تنفيذ الحكم على المتهمة المدعوة لينا بتهمة الدفاع عن نفسها كتهمة أولى، إلى الجانب الاعتداء اللفظي على رجال القضاء وتعطيل سير القانون أثناء المحكمة.

في هذه الأثناء تسيل دمعة من عيني لينا لكنها ترفع رأسها بشموخ مستسلمة لقدرها. وفي تلك اللحظة يصدح صوت يهتف:

"الله أكبر الله أكبر الله أكبر"

يرتفع الصوت شيئًا فشيئًا، ويحدث الهرج والمرج فوق منصة الإعدام، وتلوح ابتسامة على ثغر **لينة** وهي تقول:

لقد جاء أحفادي.

يقتحم المنصة رجل ملثم خلفه عدد من الرجال والنساء وهم يكبرون، ثم يدعو الملثم الجمهور لتكبير. وأمام هذا الجمع الغفير ينسحب القاضي والمحامي والقاتل هربًا، وخلفهم الجندي مذعورًا، ويحرر الملثم لينا من أغلالها وينزع عنها الحبل الذي يطوق رقبتها. ثم تنظر إلى إخوتها وهم يركضون نحوها لعناقها، لكنها تبصق في وجوههم ما عدا الأخ الضرير، ويقوم الملثم ومن معه بطردهم ويغادرون المسرح.

ثم يقف جميع من بقيا في المسرح في صف منتظم، وتخرج من بينهم طفلة صغيرة تقول هذه القصيدة.

قبل الحرب كنا أطفالًا ارتدنا المدارس وشهدت على ضحكاتنا الشوارع

ركض الأولاد خلف الكرة ولعبت البنات بالعرائس

سماء صافية، شمس ذهبية، والعصافير تردد ألحانًا صيفية.

فجأة، غمامة سوداء حجبت قرص الشمس عكرت صفو السماء وخنقت حناجر العصافير سحابة دخانية.

شوارعنا رصفت بجمام الموتى ونثرت عليها هياكل عظمية

لم تعد هناك كرة مزقتها قنبلة يدوية، سقطت العرائس وتلوثت بدماء قرمزية

المدارس تحطمت وقصفت المشافي بصواريخ إسرائيلية.

اغتالوا برئتنا وطمسوا أحلامنا

وغدا ربيع طفولتنا أوراقا خريفية.

لصوص الظلمة يزورننا ليلاً ويسلبونا أحلامنا الوردية

أحلام نمسك فيها الكتب لا الأسلحة الحربية

نحن الأطفال، أقصد كنا كذلك، ذات عشية

فالحرب جعلتنا نكبر بسرعة جنونية ولم تسمح لنا بتوديع طفولتنا التي توفتها المنية.

نسير في بقايا شارع لبقايا وطن، أينما ولينا البصر نرى الأنقاض والأشلاء ونارًا جهنمية

تصفعنا رائحة الموت والخراب كأننا في مدينة أشباح أو على أعتاب مقبرة جماعية

والحال أننا في حضرة أفعال البشر الوحشية

بشر يبرعون في نسج أكاذيب وخرفات الإنسانية، قوانينهم وسننهم خطابتهم وكتبهم محظ ترهات هزلية

حقوق حرية ديمقراطية، كلها شعارات لا منطقية. فنحن لا نملك حق الحياة في وطن تحول إلى مواكب جنائزية

نحن الأطفال، حلمنا بسلام وأمن ولعب وعلم وحلوى قطنية. هل حلمنا بأشياء عصية؟

أيها البشر، يكفيكم رياء. لقد آن أوان نهاية المسرحية وبانت حقيقتكم الشيطانية.

الحرب ليست ما تدور رحاها في الخرائط الجغرافية

بل الثائرة داخلنا تلك هي الحرب الحقيقية

وسنظل نحلم بأمن ولعب وعلم وحلوى قطنية

وسنظل نفخر بأننا أهل هذه القضية

نحن الأطفال فلسطينيو الهوية.

(ثم يخرج كل الممثلين ويقفون بجانب بعضهم البعض، تتقدمهم لينا وينشدون سوية أغنية لينة.)

لينا كانت طفلة تصنع غدها

لينا سقطت لكن دمها كان يغني للجسد المصلوب الغاضب للقدس ويافا وأريحا

لشجؤ الواقف في غزة، للبحر الميت في الأردن.

يا نبض الضفة لا تهدأ، أعلنها ثورة،

فليمسي وطني حرا، فليرحل محتلي، فليرحل.

وينغلق الستار.

عندما يجمع القدر بين أربع نساء في زنزانة واحدة

كل امرأة تحمل معها جرحًا دفين، جرحًا بحجم وطن.

مسرحية "لينة" للكاتبة آية مصدق